# رجل الغد

موضوع المحاضرة التي ألقتها المربية الفاضلة الآنسة زينب الحكيم

في نادى أصدقاء الكتاب المقدس بالفجالة

سادتي. سيداتي :

يذكرني هذا الموقف بالوقت الذى أنشأ فيه المرحوم بطرس غالى باشا « الجمعية الخيرية القبطية » فى سنة ١٨٨١، حيث كان من بين الخطباء ـ يوم افتتاحها ـ الأستاذ الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد النجار ، وعبد الله نديم وغيرهم .

ولو أن الموقف الليلة ليس موقف إنشاء بناء جديد ، إلا أنه افتتاح عهد جديد للمرأة القبطية المسلمة ، تصافح فيه علناً المرأة القبطية المسيحية فى دارها هذه لأول مرة منذ إنشائها ، كما سبق أن صافح الرجل المسلم أخاه القبطى فى عهد المرحوم بطرس غالى باشا من نحو ٥٤ سنة .

والواقع أيها السادة أنه لا يمكن أى فرد مهما بلغت به قوة الحيلة، أن ينجح فى التفريق بين مسيحى ومسلم خارج مصر أو داخلها، لأن أهل مصر رجال حزمة، ونساء خصيفات «لا صغار» تستهوى نفوسهم الصغائر أو توهن عزائمهم الشدائد . ولقد كان للمرحوم سعد باشا ،والمثلث الرحمات البطريارك السابق ، الفضل فى القضاء على ما تسعى إليه عناصر كثيرة للتفريق بين العنصرين المتحدين اللذين يؤلفان الأمة المصرية ولا يزالان متحدين مهما يبذل من السعايات للتفريق بينهما . والآن أيها السادة والسيدات ، أتحدث إلى حضراتكم عن رجل الغد. ومن هو رجل الغد ؟ هو طفل اليوم وفتى اليوم وشيخ اليوم .

ولست أعنى ذلك الذى لم يتجاوز الثامنة أو التاسعة فحسب ، إنما أعنى الطفل كما يعبر عنه الانجليز ، فإن لفظة الطفل تطلق على الفرد حتى سن العشرين، ولا إخالنى مبالغة إذا قلت إن تلقيب الانسان بالطفل مدى حياته يكون أقرب إلى حقيقة نصيبه منها ، فليس لفظا : الشيخ والهرم ضدى لفظى الطفل والشاب؛ فلقد يكون الفرد فى عامه الخامس أو أدنى، وعقليته عقلية رجل ، ولا بد قد علمتم حضراتكم أن أصغر فارس فرنسى عمره خمس سنوات ، وأن رجلا عمره خمس سنوات فى أمريكا ألف كتاباً، ولقد يكون الشاب الذى لم يتجاوز الثامنة عشرة أو الذى لم يتم عقده الثالث فى كياسة الرجل المجرب والشيخ المحنك.

ومصطفى كمال الذى نهض بتركيا ـ بعد أن أذن على جنازتها مؤذن الموت أو كاد كما ترون

وتسمعون عن إصلاحه فيها وإنشائه لها من جديد - أصغر المجددين سناً الآن . ونيوتن صاحب نظرية الجاذبية كان أصغر فتى فى العالم أجمع حاز مثل مركزه ! فقد عين أستاذاً للرياضيات فى جامعة كمبردج ولم يتجاوز الثانية والعشرين . وهاهوذا مصطفى كامل الذى عمل لوطنه فى الجزء الأخير من حياته مالم تعمله أجيال بأسرها فى عديد الأعوام ، قد مات وعمره ٣٤ سنة فقط . كان اسكندر المقدونى الذى فتح الفتوحات وطبقت شهرته الآفاق مات وهو ابن ثلاثين سنة .

هذا وقد يكون رجل الأربعين فى عقلية اليافع ، وقد يكون الهرم الذى أكل على الدهر وشرب أبله غراً ولا تساوى عقليته عقلية دجاجة أو سمكة ولا أقول طفلا . إن الطفولة فى شئون الحياة غير طفولة السن وإن تكن هذه مرتبطة بتلك غالباً ؛ حيث أثبت لنا علم النفس قديماً وحديثاً ضرورة ملاءمة نشاط الإنسان وجميع مايحيط به لحالته الخاصة ولسنه المعينة بقدر الإمكان .

أما وقد أخلفت التجاريب ظنما فى ثمار حياتنا ، وفلذات أكبادنا منذ القدم بحيث لم ينبغ من مجموع سكان هذا الكون إلا أفراد تكاد تحصر عداً فى كل علم وفن ، وهؤلاء هم الذين شقوا طريقهم فى الحياة سواء أتهيأت لهم الظروف أم لم تتهيأ ، فقد وصلت من هذا الحكم وهذه الحقيقة إلى أنه لا بد فى نظامنا العالى العملى والمعنوى نقص مبين يرجع إلى ضعف سبل تطورنا ؛ وبما أن المجال مجال تحليل علمى عملى نريد من ورائه الوصول إلى حل يرضينا ونتيجة فعالة نطمئن إليها لرجل الغد ، أقول :

إن هذا الجيل يسمى جيل الطفل ، وإنه اسم موفق لشدة اليقظة التى أصبحت تحوط الطفل متدرجة ببطء من أيام أفلاطون وبلوتارك اليونانى الذى عاش فى القرن الأول للميلاد . وتقدمت تلك الحركة بشكل أسرع من أواسط القرن الثامن عشر حتى بلغت الذروة اليوم .

وفى يقينى ، أن هذه العناية الفائقة واليقظة الصادقة نحو الطفل لم تكن إلا وليدة انتباه العقول الفذة المدبرة التى أدت رسالتها إلى العالم على أكمل وجه ، وإذا كان هؤلاء قد نفذوا إلى عالم الجهاد والكفاح وسط العواصف القاصفة والأفكار الهائجة والمتشيعة جهلا وغلظة دون أن تساعد أو تعضد فى إبان كفاحها ، فلا بد أنها لاقت من الجهد أشقه ، وقاست من الوهن آلمه ، ومن الشدة أمضها . ومع ذلك ظهرت لنا من بينهم عبقريات تبقى مدى الدهر ، وأمثال هؤلاء كثيرون قدماء ومحدثون .

فها هوذا إدسون النور إله السحر ، وتاريخ حياته حافل بالصعاب من ألفه إلى يائه ، ولكن هل هذه الصعاب أوقفت نبوغه وعبقريته دون أن يبلغ جل أغراضه ، هل منعته ظروف الحياة القاسية من أن يخفف من قسوتها ، وأن يشمل العالم أجمع بنور اختراعاته التى تنيف على الألف ؟ ثم هناك قاسم أمين الذى كانت روحه روح أديب ، روح حساسة ونفس جياشة ثائرة

تنعزل للبحث والتنقيب ، فتستطلع ما فى حياة الكون وحركته من نشاط وجمال ، بل كانت عيناه الواسعتان كما يقول هيكل : « تريدان أن يرى جدة الوجود الدائمة تتكرر مناظرها فتطبع على صفحات نفسه وحياً وإلهاماً أكثر مما تؤدى إليها المباحث الجافة منطقاً وجدلا . فكان يحرص على متاعه منها ، ويدعو غيره لهذا المتاع ، وذلك لا يؤتاه إلا رجل فن جميل لا يقف عند التلذذ لنفسه بنعم الحياة ، بل يعبر لغيره عن معانى هذه النعم . فقاسم أدى رسالته بالتعبير عن شعوره بوصف ما فى هذه الحياة من مختلف ألوان الجمال » ، إلى أن قال : « وحياة قاسم كانت كلها متجهة إلى هذه الدعوة ، وكانت متجهة إليها بقوة آخذة بنفسه ، متغلبة عليه ، حالة منه محل الإيمان بها إيماناً صادقاً » .

إنك لتدهش أن تعلم أن قاسماً كان مع كل هذا قاضياً فمستشاراً إبان حياته ، وقد قصدت أن أنقل لحضراتكم حرفياً هذه الفقرات عن حياة قاسم بقلم هيكل ! لأنى أعتبرها جمعت فأوعت ، وتسجل نفسية كاتب نزيه ، وتظهر سمواً خلقياً لذلك الكاتب ! وما أجمل ما يمتدح به رجل رجلا ، وليس أعظم من أن يبكى رجل رجلا ، ولا أن تمتدح امرأة امرأة .

وبودى أيضاً أن أرى حضراتكم نموذجاً للأسلوب الكتابى الراقى والتفكير النثرى المنظم ، فلو أخذت نموذجاً لكاتب من طراز آخر واتسعت صدوركم لسماع شىء من كتابته النثرية . لما ترددت فى اختيار الدكتور طه حسين ، إذ هو فى نظرى شخصية عبقرية مزدوجة كقاسم أمين ، فكما كانت لقاسم قدرة تعدد العبقرية كالدكتور طه ، فإن الأخير يمتاز فى إيجاد فروع للعبقرية الواحدة ؛ ( فهو عبقرى إذا كتب فى الأدب ، وعبقرى إذا كتب فى النقد ، وعبقرى العباقرة إذا كتب فى السياسة ) . وهو مع هذا ليس أديباً أريباً فحسب ، بل هو فوق ذلك مرب ماهر ، واجتماعى حصيف ، فتفضلوا بسماع حديثه لابنته فى كتابه « الأيام » ص ١٢٧ ، والقارىء لحديثه إلى ابنته يرى عظم الفرق بين طفولته وطفولتها ، وكيف أنه تحمل ما يستطاع وما لا يستطاع للتغلب على شئون الحياة وتنشئة ابنته هذه وأخيها على أحسن ما يمكن ؛ كذلك نلحظ أنه فى حديثه يولى ابنته ثقة على صغرها مما يربى شخصيتها ويشجعها على الاعتماد على النفس ؛ وسلوكه هذا مع أطفاله قدوة طيبة لمن سيكون رجل الغد .

ويهمنى أن آخذ « شوقى » كمثل أعلى للشاعرية المصرية ، فقد كان عبقرياً متفنناً ، أما شعره على حدة فلست فى حاجة إلى ذكر شىء منه لحضراتكم فكلكم قارىء وكلكم مطلع . وإن ما تخيرته - لأن أسمعه حضراتكم - قطعة شعرية من قصة كليوباترا لأظهر شيئاً من عبقريته فى هذه الناحية ، ناحية القصص التمثيلى الشعرى ، فلقد صور نفسية المرأة القوية فى أشد مواقفها بشكل يشهد له بالمقدرة الفائقة . وليس يعنينا كثيراً موضوع أزمة كليوباترا النفسية ومحاولتها التخلص منها بالطريقة التى حصلت ، وإنما نريد الوقوف على قدرة « شوقى » فى تصوير

نفسية امرأة. وهى من القطعة الشعرية التى مطلعها « هلمى الآن منقذتى هلمى »، والتى منها :

سطت روما على ملكى ولصت جواهر أسرتى وحلى آلى

فرمت الموت لم أجبن ولكن لعل جلاله يحمى جلالى

ومنها: وقد علم البرية أن تاجى عمته الشمس والأسر العوالى

ومنها: يطالبنى به وطن عزيز وآباء ودائعهم غوالى

ومنها: أموت كما حييت لعرش مصر وأبذل دونه عرش الجمال

وبعد، أما آن لنا الأوان وحان لنا الوقت، أن نقوم قومة الرجل الواحد، ونتشبه بتلك المرأة العظيمة فنأبى الضيم على أنفسنا، ونتشبث بحقوقنا كاملة، ونرد جائحة الاستعمار عن عزتنا القومية فنستميت فى الدفاع عن وطننا وحقوقنا إلى آخر رمق لنا فى الحياة ؟

ثم لننتقل إلى عبقرى من طراز آخر، ذلك هو شلى الشاعر الانجليزى.

ويعجبنى منه وقد نشأ فى أسرة جميلة وورثه جده غنى طائلا، أنه زهد فى المال ورغب عن الدعة والراحة، وترك بيت أبيه وأهله جميعاً، لا على أن يستغل ما أوتى من موهبة الشعر وما ورث من مال فينسى ملاكه ولا يستمع لوحيه، ويذكر شيطانه فيتبع خطواته كما فعل من العرب عمر ابن أبى ربيعة ومن الانجليز بيرون الشاعر، وإنما سما بنفسه الزكية وإحساسه الراقى إلى جمال الطبيعة وفسيح الخيال، فترك للناس من بعده أثراً نافعاً يبقى على كر الأيام ومر الليالى.

إلى هنا قد يسألنى البعض فيقول: وما الذى كافأت به الحياة أمثال من ذكرت؟ فأقول: يكفى أنهم انتفعوا بتشغيل قواهم ومواهبهم فى حياتهم إذا لم يكونوا قد انتفعوا أو استمتعوا بشىء آخر. وحقيقة ليس منا من ينكر أو يستهين بما نال عظماء الرجال وعظيمات النساء فى مختلف العصور من أذى ونضال شاق وتضحيات جسام، إلا أن كل هذا مغفور عنه، ومشاد بفضله ؛ فلولا تضحيات عظماء النفوس، العظماء الهمة، العظماء الجد والإقدام والمثابرة! لما وصل العقل البشرى إلى ما نراه فيه من رقى وتطور.

ولو حاولت أن أستمر فى سرد أسماء بعض العظماء والعظيمات ولو اسماً واحداً لكل فريق ممن امتازوا بعبقريات خارقة، لطال بى المقال ؛ فهناك مدام كورى، وبوديشيا زعيمة المدافعات عن الوطن، ومنتسورى صديقة الطفل، ورابعة العدوية زعيمة المتصوفات، وأم المحسنين زعيمة الرحيمات، وهناك نيتشه، وتسلا، وسعد، ونابليون، ومحمد على، ولودج، وغاندى، وغير هؤلاء كثيرون جداً. والذى أريد أن أقوله الآن، أن هؤلاء على كثرتهم قليلون بالنسبة إلى عدد الانسان فى العصور السابقة وفى العصر الحاضر.

فكيف نصل برجال الغد إلى أن يكونوا عباقرة مثل هؤلاء، إن لم يكن فى جميع نواحى الحياة ففى أكبر جزء من المستطاع الممكن ؟! إن زماننا غير زمان من سلفوا، وقد جاء فى

الأثر الشرقى وقد سبق الغربى ما نصه : « لا تقسروا أولادكم على آدابكم ، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » . والحقيقة أننا نريد ثماراً يانعة ننتفع بها انتفاعاً طيباً ، ونصل بواسطتها إلى تأسيس مجتمع راق، تكون القيادة فيه للعقل ( أى قوى النفس جميعاً ) لا للغريزة الأولية، أو أن يستمر الخلف مرتكزاً على السلف ، والسلف ضاغطاً على الخلف ، مما يفقدهم ميزاتهم الطبيعية من تفكير ونشاط ، فيتراجع الجميع القهقرى بدل السير قدماً إلى مراقى الإنسانية .

وإن ما يتطلبه أطفالنا اليوم غير ما كان متبعاً بالأمس ، لذلك إذا أردنا أن نسهل على طفل اليوم الوصول إلى هذه الغاية التى نطمح إليها، فلن يكون ذلك بغير تيسير السبل لظهور نزعاته ورغباته وميوله الدفينة إلى حيز العمل المنتج علماً وعملاً ، مع ملاحظة اتزان أجهزته الجسمية خصوصاً جهازه العصبى ، وهذا ما يجب أن يأخذ جزءاً كبيراً من عنايتنا ونشاطنا ، فإننا لو اهتممنا بفعل ذلك ، لرأينا العجب العجاب من ناشئة اليوم ، خصوصاً أن العصر عصر عمل منتج ، وأصبحت الطريق معبدة واضحة ، ويجد الطفل من الوقت ما يساعده على التفكير والابتكار ، لاسيما وأنه من مزايا الكائن الحى النشاط الذاتى العقلى ، وليس ذلك مقصوراً على أبناء أمة واحدة وإنما يشترك فيه كل كائن حى فى هذا الوجود، لذلك كان لزاماً أن نطرق باب الرقى البشرى العالمى من هذه الطريق، وقد اتفق فى ذلك غالبية المربين قديماً وحديثاً، فقال لوك الانجليزى (١٦٣٢ ) فى هذا المعنى: «إن المعارف الحقيقية لا تنال إلا بتمرين العقل، ولكل عقل مميزات خاصة، لذا وجب أن تكون التربية مؤسسة على ما لكل طفل من مميزات، وعلى حاجاته الاجتماعية أيضاً ، وأن نهتم بما يكون عليه فى حياته العملية».

وقال روسو(١٧١٢): «ليس معنى الحياة مجرد التنفس، بل معناها العمل باستعمال أعضائنا وحواسنا وقوانا العقلية . وباستعمال كل ما بقى من جسمنا حتى نحس بوجودنا ، فالغرض من الحياة ومن التربية أن نعيش عيشة تامة ».

وقال بستالتسى ( ١٧٤٦) : « يجب ألا يكون التعليم غرضاً فى ذاته، بل واسطة فى التربية العقلية وتقوية المواهب جميعاً عملياً » وقال فروبل أبو الطفل وحاميه: «يجب أن تكون طرق التربية مرشدة للطفل دون ظهور وتابعة لقيادته بحكمة لكى يسير وفق طبيعته لا ضدها » .

وإن من أهم قوانينه فى التربية قانون النشاط الذاتى . وإنا نبرهن على صحة نظريته هذه ، بأن تمرين أى عضو فى عمل ما ينتج تقوية ذلك العضو فيه ، وينميه نمواً متناسباً مع تمرينه . وكذلك الطفل إذا استعمل مجهوده الذاتى فى فرع خاص من الرياضات العلمية أو العملية ، فإنه يحصل على النمو المطابق لهذا المجهود ، وبالعكس إذا أساء استعماله فإنه يعطل نموه تعطيلا متناسباً مع إهمال هذه التمرينات، ومن ذلك ترون أن العقل بقوته الأصلية ونشاطه الخاص به يؤسس لنفسه عالمه الإدراكى . فالعمل والنشاط والحركة تحقق للشخص عالمه الخاص ، ولاسيما

أن النشاط الذاتى الصادر عن البواعث النفسية الخاصة والناتج عن الرغبة والارتياح ، والقائم على توفر القوة للفرد يمكنه من الحصول على الفائدة المقصودة من التربية الصحيحة .

هذا وإن النشاط الذاتى - أو ما أسميه أنا السعى الصادر عن الطفل بطبيعته - يمهد للنفس والعقل فرصاً عظيمة للتهذيب بتنسيق وربط بنات أفكاره بما يحيط به . وبذلك يفهم الطفل أن الغرض من وجوده كوحدة مستكملة فى ذاتها دعامة أولية تؤسس عليها الانسانية .

وبعد فما لا يختلف فيه اثنان أن حرمان الفرد ومن ثم الجماعة ، من ميزة النشاط العقلى والتجارب العملية، جريمة خطرة على التقدم القومى والعدالة القومية والنظم الطبيعية .

البلد المصرى بلد الثورات السريعة الهبوب السريعة السكون ؛ وذلك شأن البلاد المغلوبة على أمرها، ومصر تفوق غيرها فى ضياع نشاطها لسرعة تفرقها وتعدد أحزابها، ولذلك فاستفادتنا من ثوراتنا قليلة نسبياً؛ وإذا ضربنا صفحاً عن الثورات السياسة، وفكرنا فى شىء أشد مساساً بموضوع بحثنا هذا، وأخذنا ثورة تعديل المناهج الدراسية منذ عام ١٩٢٤ مثلا، ومثلا حيوياً يهم كل فرد فينا ، وجدنا أننا لا نسير على نظام معقول صريح للوصول إلى أغراضنا فى مختلف الشئون بله شئون التربية والتعليم، تلك المسألة الهامة العويصة التى يتوقف عليها رقى العالم أجمع .

لقد اتفق فى هذا البلد على وضع ... العشرين إلى الثلاثين مادة لتدرس فى المناهج ، وكلف الطفل ذلك من طور الروضة إلى الدراسة العالية فالتخصص ، هذا عدا الاجتماعيات التى تجدر العناية بحركاتها وتشجيع النشء بشتى الوسائل على الاندماج فى سلكها، بدل اندفاعه إلى تيار المجتمع الفاسد ، فيغزو المقاهى وأماكن اللهو كالمسخر لإخلاء جيبه وإفلاس مالية والديه ، وتخريب أخلاقه وإفساد مستقبله .

ولكن، لنقف هنا قليلا ونسائل أنفسنا : هل أفادتنا ثورة تعديل المناهج ؟ الجواب مع الأسف سلبياً ، لأننا ... ال نرى الطلاب متأففين والآباء غاضبين والمدرسين ناقمين ، والحقيقة أن المناهج بهذا التعديل لم تخرج لنا رجالا كنا نطمح فى إيجادهم ، والأسوأ من ذلك أن من شذ بذكائه ونشاطه واستعداده أهمل شأنه ، واستولى عليه اليأس من دوام عدم تشجيعه .

ومن هذا نرى النفوس ثائرة - ولقد يكون لها الحق فى بعض النواحى - غير أنى أرى أن سبب هذا كله يرجع إلى أساس هام لم ينتبه إليه أحد من القائمين بالاصلاح فى مصر ؛ ذلك هو إصلاح شأن الطفل فى السنوات التى تبدأ من يوم حمله إلى أن يلتحق ... المدرسة ( الروضة ) فى سن الخامسة ، متغاضين فى ذلك عن أهمية علاقة الآباء بالأبناء ... رف الأمر عنها إلا النزر اليسير ، وثانياً يشكو الجميع من مواضع لا يجب أن تكون ... موضع شكاية، بل يجب أن تكون موضع تقدير وعناية ، مثال ذلك أنهم يشكون من كثرة مواد الدراسة مع أن ذلك فيه إعلاء لشأن الطالب، حيث إنه عامل قوى لتوسيع مداركه وإنماء لشخصيته ، وإن ذلك بمثابة

نواة أولى تمكنه فى المستقبل من الصعود عليها إلى أقوم درجات البحث والتنقيب، ومن هذا ترى أن الشكاية كان يجب أن تكون من سوء طرق التعليم وتواكل أوجهل القائمين به، وسوء ترتيب الدراسات المتنوعة فى السنة الواحدة وفى مرحلة التحصيل كلها ، وجعل دراسة جميع المواد إلزامية لكل طالب ، وغير ذلك .

أما السبب الأول وهو الجدير بالعناية الفائقة فى نظرى ، وهو السبب الذى من أجله ضربت الأمثال بالعباقرة سالفى الذكر ، على أن أهيب برجل الغد أن يقتدى بهم ، وذلك لكى يكون خير قدوة لأطفاله حينما يكون أبا إن كان رجلا ، وأما إن كانت امرأة خصوصاً وأن العلم والتجارب أكدت أن هناك علاقات ثابتة بين الوالدين وأبنائهم ، فهناك :

١ – علاقة طبيعية ، وتلك هى رابطة الزواج التى ينشأ بواسطتها الطفل ، ومما لاريب فيه أن هناك ميزات طبيعية ثابتة توضح علاقة الطفل برجل وامرأة هما أمه وأبوه ، فاذا كانا سليمى الجسم والعقل عبقريى المواهب ، ظهر ذلك فى نتاجها الذى يجب أن يكون محدود العدد حتى يستطيعا تنشئته بسهولة ونجاح .

٢ – ثم هناك الرابطة الانفعالية بين الوالدين والابناء ، وهذه الصلة مميزة للرابطة الطبيعية ، وكثيراً ما نسمع الوالدين يرددان : ابنى ! ابنتى ! ولدى ! مع قصد التشديد على ياء المتكلم ، وأقل ما فى هذا التعبير الانفعالى من مظاهر ، هو مظهر الحب الأبوى ، وهذا يعنى به دائما ما يكنه الوالدان لأولادهما من المحبة ، ولا يشترط أن يعنى به ما يكنه الأولاد لآبائهم من محبة ، ( لأنهم يكتسبون ذلك كلما تقدمت بهم الأيام ) .

٣ – ثم هناك الرابطة العقلية ، فكلما نما الطفل وتقدمت به سنو عمره ، نمت عنده رابطة عقلية خاصة ، فهو يحفظ أو يتعلم من والديه إذ يتحدث إليهما عن الأشياء ؛ ومما لاشك فيه أن الرابطة العقلية هذه لها ارتباط وثيق بالرابطة الانفعالية سالفة الذكر .

٤ – وأخيراً هناك الرابطة الاجتماعية بين الوالدين والأبناء ، فنلحظ أن الوالد الفخور بابنه والمسرور منه يعرضه لتجارب مختلفة وأشياء ممتازة لا ينالها باقى الأطفال من نفس الأسرة ، لأن حالهم لا تدعو إلى الفخر ، وليسوا حائزين الرضاء التام من والديهم ؛ والحكم العادل فى أمثال هذه الأحوال يتوقف على مقدار ثقافة الوالدين ومقدار دراستهما لابنائهم ، وهنا يظهر فرق كبير بين الطفل الذى يأخذه والده هنا وهناء ، وبين الطفل الذى يظل قعيدة البيت حتى إذا ما خرج إلى المجتمع كان أبله قليل التجربة ، غريباً فى محيطه .

لذلك ، فنحن فى حاجة ماسة إلى [illegible] عدة فعلية للآباء والأمهات لكى نعاونهم على النهوض بأسرهم من جهة تربية النشء والتعاون على الحياة المشتركة ؛ ولقد قدمت أن لفظة الطفل

يصح أن تطلق على الانسان مدى حياته لكى يستطيع الدرس والتنقيب طول هذه الحياة ، إذ لاخير فى عقل يقف تفكيره، وحياة تنتهى غايتها.

إذن: نحن فى حاجه إلى مدارس خاصة بالآباء تشبهاً بما اتبعته الأمم الراقية للأخذ بناصر الإنسانية ، فمنذ أوائل القرن العشرين تنبه علماء الاجتماع والتربية إلى الدور الهام الذى يمثله الآباء فى تربية رجال الغد لما بين هؤلاء وأولاء من الروابط والعلاقات، وكيف وجد أن هذه الروابط بين الآباء والأبناء غير كفيلة بإعداد النشء إعداداً مرضياً ، لذلك يجب أن نعوض الآباء ما فاتهم فى أوقات تحصيلهم ، فنزودهم فى تلك المدارس بكثير من العلوم المستحدثة ؛ كعلم النفس التجريبى والاجتماع والمنطق والفنون المتنوعة لما لها من أهمية فى تربية وتكوين عقلية الناشىء ، كما نساعدهم على دراسة الطفل بنوع خاص فى أشهر أطوار حياته خصوصاً طورى الطفولة فالمراهقة ، إتقاء ما عساه ينتج من مشاكل خلقية واجتماعية فى المستقبل .

وعليه يجب أن نسرع فى إنشاء اتحادات وجمعيات للآباء بحيث تضم الأمهات والآباء من كل الطبقات لنباحثهم ونرشدهم فى أمور تربية رجال الغد ، كما عملت انجلترا وأمريكا عام ١٨٧٧ للأولى و ١٨٩٧ للثانية . وبالضرورة سينشأ عن هذا معاونة المدارس على مهمتها الشاقة ، وستقدر العناية بالأطفال الهمل والمتشردين ، ونعنى بموضوع رعاية الطفل بشكل أعم إن لم يكن بتلك المدارس الخاصة فليكن بكثرة المحاضرات والدراسات والتجارب العملية .

فإن حالنا الراهنة فى مصر حال يشفق على البلد منها ويرثى لأخلاقها ، وإنه طالما لا نأخذ بيد بعضنا بعضاً ، ولا نشد أزر بعضنا بعضاً، وطالما لا يوجد من يهيئه الله لأن يأخذ بناصرنا ويهدينا الصراط المستقيم ويوجهنا الوجهة الصالحة ، فلن نستطيع أن نطمع فى عيشة راضية وجنة عالية على هذه الأرض .

والواجب علينا جميعاً أن نتمثل بقول سالم بن عبد الله: « اجعل الناس أباً وأخاً وابناً ، فبر أباك ، واحفظ أخاك ، وارحم ابنك » . وعلينا أن نعمل كثيراً ولا ننتظر أجراً كبيراً .

ولا يفوتنى أن أقول: إن على المرأة ـ وأنا واحدة من جنسها ـ أن تشمر عن ساعد الجد، وأن تساهم بجزء وافر من نشاطها وذكائها ومثابرتها لأن تؤدى رسالتها على أكمل وجه ، وأن تأخذ بيد الرجل فى تسامح مهما كلفها ذلك من مشقة .

وليعلم الرجل المصرى أن رسالة المرأة المصرية لا تنفذ إليه إلا إذا استعد لاستقبالها . فإذا كان يرجى للمرأة المصرية الجديدة أن تضارع أختها التالدة أو أن تتشبه بمثيلاتها من نساء الغرب اللاتى غيرن صفحة التاريخ بما أوحين إلى النوابغ والعباقرة ؛ فلا بد من إعداد الرجل المصرى لتلقى رسالتها بقبول حسن، وأن يحلها المكان اللائق بها حتى تنهض بعصرنا نهضة سمو توصلنا إلى الكمال التام .